

جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي لحملات التَّنصير والإلحاد

The efforts of the Association of Algerian Muslim Scholars in countering the campaigns Christianization and atheism

بوراس محمد¹، عيصر أحمد جمال الدين²

¹ جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر). mftahlkher@gmail.com

² جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر). untldz1317@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/07/01 تاريخ القبول: 2025/07/02 تاريخ النشر: 2025/09/20

ملخص:

مع حلول القوات الفرنسية بالجزائر حملت معها الكثير من معاول هدم الحضارة والهوية الثقافية للشعب الجزائري، وتنوّعت المخططات الشرسة التي أرادت بها طمس الكيان الإسلامي والعربي للأمة الجزائرية، لكنها اصطدمت بعلماء أكفاء تصدّوا لهذه المخططات بجهودهم المباركة، فكانوا حُرّاس الحدود، وحماة الملة.

وتتجلى أهمية الموضوع في كونه يكشف المخططات والمقاصد الخفية التي صحبت الحملة الفرنسية على الجزائر، وبيان أنّها لم تأت أبداً لنقل الحضارة والمدنية -كما تزعم-، وكونه يُظهر الوجه الحقيقي لفرنسا الاستعمارية، وأنّ حملتها كانت حملة طمس وتغييب للهوية الإسلامية العربية، من خلال وسائل خبيثة كالتنصير، ونشر الإلحاد.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية مهمّة وهي: ما الجهود الدعوية والفكرية التي سلكها علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي لحملات التنصير، وموجات الإلحاد؟ سلك الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي الكرونولوجي، والمنهج النقدي، ويحاول الوصول إلى أهدافٍ اقتضتها طبيعة الدراسة منها: الوقوف على أبرز المخططات التي سلكتها فرنسا من أجل بسط سيطرتها المطلقة على الأمة الجزائرية، وإبراز جهود علماء الأمة في التصدي لهذه الحملات الاستعمارية، ومعرفة الوسائل التي استعملوها في ردّ هذه المحاولات البائسة، والاستفادة من هذه الجهود واستنطاق تلك التجارب لمواجهة التحديات الحديثة التي تحاول تصفية الدين، وطمس الهوية.

أفرزت الدراسة جملة من النتائج، أبرزها: كشف حقيقة التَّنصير في الجزائر وماهية جذوره التاريخية، وإظهار حقيقة أنَّ فرنسا حاولت جاهدة تثبيت أركانها بالجزائر من خلال حملات التنصير، والإلحاد، والفرنسة، وأنَّ علماء الجمعية كان لهم دورٌ حاسمٌ ومؤثِّرٌ في رد هذه الحملات والتصدي لها.

الكلمات المفتاحية: التنصير، الإلحاد، جمعية العلماء، جهود.

Abstract:

The significance of the topic lies in its unveiling of the hidden plans and objectives that accompanied the French campaign in Algeria, clarifying that it never came to bring civilization and modernity—as it claims—but rather to show the true face of colonial France, revealing that its campaign was one of erasing and concealing the Arab-Islamic identity through malicious methods such as Christianization, spreading atheism..

This study attempts to answer an important question: What were the proselytizing and intellectual efforts that the scholars of the Association of Algerian Muslim Scholars undertook to counter the campaigns of Christianization, waves of atheism?

The researcher in this study adopted the descriptive-analytical method, the chronological historical method, and the critical method, aiming to achieve objectives dictated by the nature of the study, including: identifying the most prominent schemes France used to establish absolute control over the Algerian nation, highlighting the scholars' efforts to confront these colonial campaigns, and understanding the means they employed to counter these desperate attempts. The goal is also to benefit from these efforts and draw insights from those experiences in addressing contemporary challenges aimed at erasing religion and identity.

The study yielded several results, the most notable being: uncovering the reality of Christianization in Algeria and its historical roots, showing that France endeavored to cement its presence in Algeria through campaigns of Christianization, atheism, and Francization, and that the scholars of the association played a crucial and influential role in responding to and confronting these campaigns.

Keywords: Christianization, atheism, Association of Scholars, efforts.

1. مقدمة:

لقد تعلق قلب فرنسا بالجزائر منذ سنة 1572م، وكان مخطط الاستعمار طوال وجوده بالجزائر مبنيا على إفراغ الشخصية الجزائرية عن مضمونها لإحلال مضمون الشخصية الفرنسية محلها، وكان يشرف على تطبيق هذا المخطط كبار أساتذة الاستعمار الفرنسي، وهم متخصصون في كلِّ العلوم الإنسانية، وعارفون بالدقائق الخفية للتركيب النفسي والاجتماعي للفرد الجزائري.

لكنَّ فضل الله واسعٌ، ورحمته بالغةٌ، ومن كريم فضله وسعة رحمته أن قيَّض لهذه الأمة من يحفظ لها دينها، ويحرس حدودها، ويحيي شخصيتها وهويتها من الاندثار، ويأتي على رأس هؤلاء، وفي طليعة كتائب العزِّ والجهاد أئمة وعلماء الجمعية المباركة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد كانت لهم الجهود البارزة، في التَّصديِّ لمعالم التَّنصير، ومظاهر سلخ الأمة الجزائرية من ثوابتها الدينية، ومحاولات تغيير هويتها الأصيلة، وسأحاول في هذا البحث رُدَّ شيءٍ من جميلهم الكثير، ببيان هذه الجهود، وإظهار هذا الجهاد، والله أسأل التوفيق والسداد، والإعانة والرشاد، على بلوغ القصد.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

- 1- كونه مرتبطاً بالفكر الإنساني، والدعوة الإسلامية، وهي علوم شريفة، تزداد الحاجة إلى تجلية متعلقاتها، خاصة في هذا العصر المزدحم بالتَّحدّيات الداخلية والخارجية.
- 2- كوني أنتهي لهذا الوطن، ومحباً لعلماء الإصلاح فيه، فأحببتُ أن أنضمَّ إلى سلك المعرِّفين بهؤلاء الأئمة، والمشتغلين بموروثهم العلمي والعملية رُدَّ لبعض الجميل لهم.
- 3- يعتبر موضوع البحث من الموضوعات التي لها أثرٌ وصلتهٌ واضحةٌ بحياتنا المعاصرة، فالأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر في حاجةٍ ملحةٍ إلى دراسة هذه الجهود الإصلاحية الجليلة، واستصحاب تلك الأفكار والأعمال؛ من أجل النهوض بالعمل الدعوي.
- 4- المكانة العلمية والأدبية والإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ثانياً: أهداف الدراسة: تهدف الدِّراسة إلى إبراز جملةٍ من الأهداف هي على النحو التالي:

- 1- إبراز القيمة الدعوية والإصلاحية لعلمائنا الجزائريين، والمستمدة من مسيرتهم الفكرية والعلمية والعملية.

- 2- ربط الأجيال بأسلافهم، وإحياء روح المسؤولية الوطنية في نفوسهم، وشحن الهمم لمواصلة المسيرة المباركة التي بدأها علماء الجزائر ومصلحوها.
- 3- الاستفادة من المنهج الإصلاحي والدعوي الذي سلكه علماء الجمعية في مواجهة الانحرافات الفكرية والعقدية، ومعرفة كيفية التعامل مع الظروف المختلفة، والإفادة منها عملياً بتنزيلها على الواقع المعاصر.
- 4- تنمية الوعي، وزيادة الإدراك بخطورة الوارد الغربي، وتنوع أساليب المكر عند المحتل الفرنسي، وفصح مخططات خبثه ومكره فكرياً وعقدياً، وأثر ذلك كله على هوية الفرد المسلم وشخصيته.

ثالثاً: إشكالية الدراسة:

يحاول الباحث من خلال هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية منهجية وهي:

ما الجهود الفكرية والإصلاحية، والعلمية، والعملية التي سلكها علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي لمعالم الانحراف الفكري والعقدي التي اتخذها المحتل الفرنسي وسائل لمحو الشخصية الجزائرية، وسلخها عن هويتها الإسلامية كالتنصير والإلحاد؟

رابعاً: منهج الدراسة

اقتضت طبيعة البحث سلوك عدّة مناهج بحثية لتحقيق المراد، فقد استعان الباحث بالمنهج التاريخي الكرونولوجي مستعيناً بأداة الاستقراء، وذلك قصد جمع المعلومات المتعلقة بموضوع البحث وسرد الوقائع التاريخية المحددة بالفترة الزمنية للاحتلال الفرنسي، والتي لها علاقة بموضوع البحث.

المنهج الاستقرائي، من خلال استقراء وجمع المعلومات المتعلقة بموضوع البحث خلال مرحلة زمنية محدّدة.

كما أنّ الباحث استعمل المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تصنيف هذه المعلومات، وترتيبها، وتوصيفها، مع التأكد من ثبوتها، والتوثق من صحّة نسبتها، ثم تحليلها وتفسيرها على الوجه الصحيح السليم، ثم يعقب ذلك كلّ استنتاجات واستنباطات تتعلق بموضوع البحث، وفق ما حدّده الباحث من معالم، وما رسمه من جوانب لاحت أهميتها دون غيرها.

خامسًا: خطة البحث

بالنظر إلى المادة العلمية المتوفرة لهذا البحث، والحاجة إلى تحليلها والتعليق عليها جاءت خطة البحث في مقدمة حوت الاستهلال، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الموضوع، وإشكاليته، والمنهج المتبع في الدراسة.

ثم تلا المقدمة مبحثان؛ الأول في إبراز جهود جمعية العلماء المسلمين في مواجهة التنصير والتبشير، وأما المبحث الثاني فقد جاء مخصَّصًا لبيان جهود جمعية العلماء المسلمين في التَّصدي لظاهرة الإلحاد.

وفي الأخير ختام البحث الذي تضمَّن أبرز النتائج المتوصل إليها، والتوصيات التي لاحت للباحث إبان إنجازه لهذا البحث.

المبحث الأول: جهود جمعية العلماء المسلمين في مواجهة التنصير والتبشير:

لا شك أنَّ الاحتلال الفرنسي احتلالٌ صليبيٌّ، وقد ظهر ذلك من خلال الرُّوح الصليبية والتي لخصها شارل العاشر 1757-1836م الذي أمر باحتلال الجزائر، وقال مبرراً عمله ذلك: (إن العمل الذي سأقوم به لترضية شرف فرنسا، سيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء)⁽¹⁾، ويؤكد ذلك أيضاً تصريح أحد مساعدي المارشال بيجو قال: (إن أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشكَّ في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكن أن نشكَّ على أي حالٍ بأنها ضاعت من الإسلام إلى الأبد)⁽²⁾، وقد ظهر ذلك ميدانياً بضم الممتلكات الدينية كالأوقاف، وتحويل المساجد إلى كنائس⁽³⁾.

وقال لافيغري: (علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهذاً لدولةٍ عظيمةٍ مسيحيةٍ، أعني بذلك فرنسا أخرى يسودها الإنجيل ديناً وعقيدةً، فهذه آيات الله)⁽⁴⁾.

قوبل هذا القول بتصريح الشيخ ابن باديس فقال:

شعب الجزائر مسلم	وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له رام	المحال من الطلب

والاستدمار الفرنسي صليبي محترق، يقوده القساوسة والرهبان، قال الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله: (الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة فهو- منذ احتل الجزائر- عمل على محو الإسلام؛ لأنَّه الدِّين السَّمَاوِيُّ الذي فيه من القوَّة ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو اللُّغة العربية لأنَّها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة لأنَّها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك ظاهرة وخفية، سريعة ومتأنية....)⁽⁵⁾.

(1) ينظر: كتاب الجزائر محمد توفيق المدني، (ص:46).

(2) التعريب بين المبدأ والتطبيق بن نعمان أحمد (ص:160)، وجهود الشيخ العربي التبسي وأثاره الإصلاحية لعيساوي أحمد (190/2).

(3) التعليم القومي والشخصية الجزائرية تركي رابح (ص:109).

(4) ينظر: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر لخلوش عبد القادر (ص:125).

(5) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (5/151).

جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي لحملات التَّنصير والإلحاد

والاستعمار والتبشير صنوان يعضد أحدهما الآخر، فقد تمثل المخطط الفرنسي للقضاء على الهوية الإسلامية للجزائر، في موقفه من الأوقاف الإسلامية والمساجد والمحاكم الشرعية والمعاهد العلمية، فمنذ بداية الاحتلال عمد قادة الاحتلال إلى الاستيلاء على المساجد وتحويلها إلى كنائس مثلما حدث لمسجد كتشاوة في عاصمة البلاد، وغيره من المساجد في مختلف أنحاء الوطن⁽¹⁾.

وصرح دعاة التبشير أن هدفهم هو إرجاع المسيحية على أرض إفريقيا الشمالية كما كان قبل دخول الإسلام إليها⁽²⁾.

وقد استخدم المبشرون المسيحيون جميع الطرق في سبيل نشر المسيحية، كما استغلوا جميع المناسبات، فاستغلوا التطبيب، والتعليم، والوعظ، والترجمة...إلا أنهم ورغم هذه الجهود التي بذلوها قد فشلوا في مهمتهم لتمسك المسلمين بدينهم ودين آبائهم⁽³⁾. وفي مقدمتهم علماء الجمعية الذين بذلوا كل ما يملكون من الوسائل المشروعة لكشف عوار المنصرّين، نذكر منها ما يلي:

1.2- إنكار علماء الجمعية وردهم على دعاة التنصير:

إنكار علماء الجمعية على دعاة التنصير مشهورٌ لا يُنكر، وحسنةٌ لا تنسى، وقد أفردت

لجهودهم رسائل ومصنفات ومن ذلك ما كتبه الشيخ ابن باديس رحمه الله عن الصلاة اليومية المسيحية ولفظها: (يا قلب يسوع الإلهي أتقدم إليك بقلب مريم الدامي، بصلواتي وأعمالي وآلامي في هذا النهار، وأقدم إليك صلواتي من أجل الغاية التي أنت ساع في سبيلها كل يوم على المذبح، وأقدم إليك صلواتي بصفة أخص، من أجل اتخاذ كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الإسلام. غاية التبشير: النضال ضد الإسلام)⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري لبلعجال (ص:66).

(2) ينظر: المقالة الصحفية الجزائرية: نشأتها، تطورها، أعلامها (من 1903 الى 1931) لناصر محمد (ص:139).

(3) ينظر: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري لبلعجال (ص:78).

(4) آثار ابن باديس (3/ 491).

علق الشيخ ابن باديس رحمه الله منكرًا: (بهذا تغذي الكنيسة مؤمنها وهم في وسطٍ إسلاميٍّ لا تمكن سعادته وهناؤه إلا بتعاون سگانه فيه بروح التسامح والتواد، وتملاً صدورهم بهذا التّعصب الممقوت ضد قومٍ مسالمين ومستضعفين. فلا يدري إلا الله كم أثمرت هذه التغذية الخبيثة من علقمٍ كان وزر من جرعته ومن تجرعه على من بثوه في النفوس ومكّنوه من القلوب) ⁽¹⁾.

وانتقد الشيخ الزواوي رحمه الله التبشير وبيّن مضاره في الجزائر، وبالأخص في بلاد زواوة، قال رحمه الله: (وآخرًا سمعنا ببعض متخذي الأديرة في بلاد زواوة كما في مقلع أنهم -أي المبشرين- يصدون الناس عن الإسلام يهدم بعض القواعد، كما بلغنا أنهم يعطون خمسة فرنكات لكل من لا يصوم كل يوم وهذا عمل خسيس) ⁽²⁾.

وانتقد أيضا الشيخ العربي التبسي رحمه الله جماعات التنصير التي كان يقودها الدكتور ازويمر، قال رحمه الله: (وعلى القارئ أن يلقي نظرةً إلى جماعات التبشير التي يرأسها الدكتور ازويمر، فإنّ هاته العصابة أوقفت على نشر الديانة المسيحية كلّ ما أعطوه من قوّة، وما وهبوا من حيّل...) ⁽³⁾.

وانتقد الشيخ الميلي رحمه الله جمعية الدفاع عن الرسائل التبشيرية، وأيد ما نشرته صحيفة الشباب منتقدة جريدة الطان الفرنسية، ودعا إلى أن لا يغفل المسلمون عن مقاصد التبشير ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ المرجع السابق (3/ 493).

⁽²⁾ مضار التبشير البروتستنتي في وطننا هذا، مجلة البلاغ، السنة الثانية، العدد 75، الجمعة 10 محرم 1347هـ/ 29 جوان 1926م (ص: 1-2).

⁽³⁾ ألا أيها النوم ويحكم هبوا، مجلة النجاح العدد 289، 18 ماي 1926م.

⁽⁴⁾ آثار الشيخ مبارك الميلي (3/ 858).

وقد انتشر دعاة التنصير في الصحراء لبعدها عن الحركة الإصلاحية، فاستولى على المنية الآباء البيض وجعلوها مركزاً هاماً للتنصير والتبشير، فنصّروا بها في سنيّ المجاعة كثيراً من المسلمين والمسلمات، وزوّجوا بعضهم ببعض، واقتطعوا لهم ضيعات وأراضي ملكوهم إياها، كل ذلك استغلالاً لفقرهم وجهلهم ومرضهم⁽¹⁾.

2.2- بيان مكانة الإسلام واعتزاز أهله به:

حرص علماء الإصلاح على إظهار محاسن الدين الإسلامي، وتعزيز قيمه بين الجزائريين، وتقرير العلاقة الوطيدة بين أبناء الأمة الجزائرية ودينها، واعتزازها به وتمسكها بمبادئه، ما يكون فيه الغنية والكفاية عن غيره من سائر الملل والنحل.

يظهر ذلك جلياً في الردود المتوالية للشيخ عبد الحميد بن باديس على المفكر الفرنسي روبير آشيل في مجلة الشهاب⁽²⁾، حيث كانت كتابات هذا الرجل موجّهة لنقد الإسلام، والخط من مكانته، وإظهاره على أنه وأهله متخلفون، متشدّدون، عدو لكل ما هو مسيحي.

فتركَت ردود الشيخ -رحمه الله- في بيان المدنية والتطور الذي تحمله رسالة الإسلام، وسماحته مع الأديان، ومراعاته لحقوق غير المسلمين، مما يجعله الدين الأحقّ بالالتزام، والأجدر.

في هذا السياق الطويل ذكّر الشيخ -رحمه الله- الكاتب وأمثاله بأنّ الفكرة الإسلامية بما تحمله من معاني سامية وأخلاق راقية لم تُكره أحدًا على تغيير دينه، ولا جيّشت حملات تبشيرية لحمل الناس على غير عقيدتهم، بل هو مجرد العدل والإحسان، والانجذاب إلى الإسلام والدخول في بيضته بما يشاهدونه من الخلق والإيمان، لا كما يفعل بنو جلدة هذا الكاتب من صبيّ المسلمين عن دينهم، وإكراههم على ترك عقيدتهم بالإرساليات التنصيرية، والأساطيل الحربية، والإرهاقات والمعاكسات الإدارية، وسياسات التهديد والوعيد والتجوع⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى لتشايعي عبد الرحمن (ص: 97)؛ والسياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م لمرجاني عبد القادر (ص: 133).

⁽²⁾ ينظر: مجموع المقالات بعنوان: الفكرة الإسلامية في كتاب: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، (42/5) وما بعدها.

⁽³⁾ المرجع السابق، (46/5).

ويقترّ الشيخ -رحمه الله- أنّه لا إشكال في خضوع الأمم إلى رابطة الدين، وإنّما العيب في توجيه هذه الرابطة لإخضاع الأمم المغلوبة، وسلخها عن دينها وقيمها بشئى الوسائل، وأبشع السبل، ومن ذلك حملاتها التنصيرية وهذا الذي فعلته أوروبا النصرانية بالأمم المسلمة، يقول -رحمه الله-: "ينعى م. أشيل على المسلمين خضوعهم للقرآن الذي هو أساس رابطتهم الدينية، وينسى خضوع الغرب للإنجيل الذي هو أساس رابطتهم، لا عيب على أهل أي دين أن تكون لهم رابطة من دينهم، وإنّما العيب إذا استعملوا تلك الرابطة للتنكيل بمن لا يدين بدينهم، كما استعملتها أمم النصرانية من قديم.

دخلت أوروبا النصرانيّة مقهورةً بالحديد والنّار، وما تمّ خضوعها لها إلّا بعد أجيال، ثم جاءت تستعمل هذه الرّابطة الدينية ضد الإسلام والشرق، فحملت حملاتها الصّليبية التي كانت في القساوة والشّدّة كحملات مجوس التتار، ثم استمرت تحمل ذلك الضغن على الإسلام والشرق متوارثاً في الأضلاب والأرحام، يسمعه اليوم كل من يسمع، ويراه كلّ من يرى في كثيرٍ من الأقوال والأفعال"⁽¹⁾.

3.2- بيانهم خطر الزواج بالأجنبيات:

لقد كان هدف فرنسا من تشجيع مسألة الزواج المختلط هو مسخ الأمة الجزائرية، وجعلها فرنسية غربية قلباً وقالباً، وتحقيق مسألة الاندماج في المجتمعات الأوروبية، فعملت على زرع هذه البذرة الخبيثة في المجتمع الجزائري، ولم يترك علماء الإصلاح هذا الأمر الخطير دون بيان أو تحذير، ومن جهودهم المباركة في ذلك:

إنكار الشيخ الزاهري زواج أحمد التجاني بأورلي بيكار بمباركة من الكاردينال لافيغري، وقد رأى هذا الكاردينال أنّ مثل هذه الزيجات تقدّم خدمةً جليلاً للتبشير المسيحي بالجزائر، وعليه فقد تم عقد النكاح على الطريقة الفرنسية في الكنيسة سنة 1870م، ويكون بذلك التّجاني أول جزائري مسلم تزوّج بمسيحية أجنبية، وبعد وفاة الشيخ أحمد التجاني تزوجت هذه المرأة بأخيه وخليفته من بعده⁽²⁾.

⁽¹⁾ أثار الإمام عبد الحميد بن باديس، (42/5) وما بعدها.

⁽²⁾ ينظر: الزاهري محمد السعيد، إلى زيارة سيدي عابدا، مجلة الصراط، 6، يوم الإثنين 4 رجب 1352هـ الموافق لـ 23 أكتوبر 1933م، (ص:5-6)، وقد قرر شيخ المؤرّخين أبو القاسم سعد الله أنّ أورلي بقيت على مسيحيتها ولم تسلم. ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (312/4).

وقد عدَّ الشيخ محمد الزاهري تأثير وخطر التَّزْوَج بالأجنبيات، وأوضح أضراره

على

الأسرة الجزائرية المسلمة، وبَيَّن أنَّ الزواج بالأجنبية ضربٌ من عدم التَّسديد والتوفيق وسوء الاختيار⁽¹⁾.

ومن خطر الزوجة الأجنبية على الأسرة الجزائرية ينتقل الزاهري إلى إبراز خطر الأمِّ الأجنبيةَّة، التي تلد لذلك الشاب المسلم أولادًا تسميهم بأسماء فرنسية غير عربية، فينشأ هؤلاء نشأةً أجنبية بعيدة عن مقومات دينه وهويته العربية، وفي هذا المقام يقتبس الشيخ أبياتًا للشاعر محمد الأمين العمودي الذي وصف هذه الحال حين صوَّر مشهد شابٍّ مسلمٍ تزوَّج أجنبيَّةً، فولدت له ذكرًا سمَّاه صالحًا، وسمته أمَّه (موريس)، فأنشد ناعيًا صنيعه بهذه الأبيات:

حيَّ الطبيب ولا تنسى قرينته	هو سليمان والمدام بلقيس
له غلامٌ أطال مدَّته	تنازع العرب فيه والفرنسيس
لا تعذِّلوه إذا ما خان أمَّته	فنصفه صالحٌ والنصف موريس ⁽²⁾

ولم تكن قضية أوريلي الوحيدة في هذا الباب، فقد تزوج أحد أقطاب أولاد سيدي الشيخ حمزة بن بو بكر بامرأة فرنسية أيضًا، وهي الآنسة فيري Feret، وكذلك تزوج محمد الشرقي العطافي (تلميذ الشيخ الموسوم وعدة بن غلام الله وصاحب زاوية العطاف) من امرأة فرنسية، يسميها البعض بلغة القدماء (جارية علجة رومية)، كما أن ابن الشيخ البودالي الهبري تزوج من امرأة فرنسية أيضًا⁽³⁾.

(1) ينظر: الإسلام في حاجة إلى دعاية محمد السعيد الزاهري، (ص:58).

(2) ينظر: المرجع السابق، (ص:56-57).

(3) ينظر: الزاهري محمد السعيد، إلى زيارة سيدي عابدا، مجلة الصراط، العدد 6، يوم الإثنين 4 رجب 1352 هـ الموافق لـ 23 أكتوبر 1933 م، (ص:5-6).

4.2- فضح علماء الجمعية لأسباب التنصير وسياساته: ومن ذلك:

أ- سياسة الإغراء:

هذه سياسة اتخذها المنصِّرون لإغراء الأولاد الصغار، قال الزاهري رحمه الله: (ولا تزال هؤلاء المبشرات يستلمن صغيراتنا المسلمات بألوان من الهدايا والهبات الصغيرة بمناسبة الأعياد الدِّينية المسيحية، وبطرقٍ مُغرية تحبِّب إليهن السيّد المسيح، وتزيّنه في قلوبهن)⁽¹⁾.

وقال أيضاً: (كان يوم 23 ماي الأخير يوم حزن وحداد على المسلمين في عاصمة الجزائر... لقد بذل القائمون على هذه الاحتفالات أقصى ما يمكنهم أن يبذلوه من الجهود والنفقات لجعلوها شائقة فخمة تجمع كلّ أسباب البهجة والأبهة والجلال، ليعظموا في أعين الناس، وليغمّرههم النَّاس بالمدح والثناء على ما عملوا من تبشيرٍ وتنصيرٍ، وليقدر المسيحيون الكاثوليك أعمالهم هذه، فيمدُّوهم بالمال من جديدٍ، ويجزلون لهم الأجر والثواب)⁽²⁾.

وهذه السياسة هي الأصل التي اتخذها المنصِّرون لاحتواء أولاد المسلمين وتنصيرهم.

ب- سياسة التهديد:

إذا لم تنفع سياسة الإغواء أظهر المنصِّرون سياسة التهديد، ومن ذلك تهديد بعض الأهالي بقطع مصدر رزقه إذا لم يمنع ابنه من التّردّد على المدرسة الإصلاحية التي أنشأها علماء الإصلاح، يقال الزاهري رحمه الله: (فهذا صاحب مقهى عربي يهددونه بانتزاع الرخصة إن لم يبادر بمنع كريمته من دخول الإصلاحية، وهذا موظف بسيط أفهموه أن في إمكانهم طرده وقطع رزقه إن لم يسرع إليهم بإرسال بنته التي تقرأ في الإصلاحية وهكذا)⁽³⁾.

⁽¹⁾ الإصلاحية بين نارين للزاهري، البصائر، العدد 6، يوم الجمعة 13 ذي القعدة 1354هـ/7 فيفري 1936م، (ص:3).

⁽²⁾ ألف وسبعمئة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف ويعتقون النصرانية الكاثوليكية للزاهري، جريدة الشريعة النبوية المحمدية، السنة الأولى، العدد الثاني، قسنطينة يوم الاثنين 01 ربيع الثاني 1352هـ، (ص:6).

⁽³⁾ الإصلاحية بين نارين، (ص 3).

ج- سياسة الدعاية الكاذبة:

تجارة المنصرين الرائجة هي دعاياتهم الكاذبة، قال الزاهري رحمه الله: (ثم إنهم أرسلوا في المقاهي والأسواق أناسًا من المسلمين ينشرون دعوتهم، ويذكرون بمناقهم وبأعمالهم الصالحات كما يذكرون الصالحين الأخيار)⁽¹⁾.

د- سياسة الاستغلال:

بدليل أنَّ المنصرين ينتهزون الأزمات والنكبات التي تحصل في المجتمع كالمجاعات، قال الزاهري رحمه الله: (وكان أكثرهم أطفالًا صغارًا قد عجز أبائهم وأولياؤهم أن يقوتوهم، أو أن يقوموا لهم على ضرورياتهم، فالتقطهم المبشرون المسيحيون، واستغلوا جوعهم وضعفهم، فاستولوا عليهم واحتلوا منهم العقائد والقلوب. وكنت أنا أراهم يمرون، فقلت في نفسي: إنَّ أولياء هؤلاء الأطفال لم يتركوا أولادهم هؤلاء إلا بعد أن بلغوا هم من الفقر والشقاء حالة ليس وراءها حالة أسوأ منها، وأنَّ هؤلاء المبشرين المسيحيين لو راعوا الهمة والرجولة لما رضوا لأنفسهم أن يستفيدوا مما يصيب الناس من المصائب والنكبات، وأفضيت بهذا القول إلى مسلمٍ كان واقفًا إلى جانبي فسمعتني أحد المسيحيين فقال لي: يظهر أنَّ هؤلاء الآباء قد أحسنوا إلى هؤلاء الأطفال وأحسنوا إليكم أنتم أيضًا بذلك، فقلت له: كلاً لم يفعلوا مع هؤلاء الأطفال خيرًا يريدون به وجه الله، ولكنهم أطعموهم من جوعٍ لحاجةٍ في نفس يعقوب، على أنهم قد سلبوهم إيمانهم وإسلامهم في مقابلة ذلك، ولما تنصَّر هؤلاء وتركوا الإسلام فالإحسان إليهم ليس بإحسانٍ إلى الإسلام، ولكنَّه إحسانٍ إلى المسيحية نفسها... إنما تركوا الإسلام إلى النصرانية حينما كانوا - كما لا يزال أكثرهم - ذريَّةً ضعافًا، ما لهم من أولياء يواسونهم عند الحاجة الشديدة والضرورة القصوى، أو حينما كانوا يتامى قاصرين لا يجدون لأنفسهم على نوائب الدهر مواسيًا ولا معينًا، ولا وجدوا لهم بين هؤلاء المسلمين وليًّا ولا نصيرًا، وما أنت بواجبٍ بين الضعاف القاصرين أو اليتامى ولا واحدًا يتنصَّر وله وليٌّ يحبُّه من هؤلاء المبشرين مهما كانت منزلته في اليتيم والضعف والقصور)⁽²⁾.

(1) المرجع السابق.

(2) ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف ويعتنقون النصرانية الكاثوليكية للزاهري، (ص:6).

وهذه السياسة مشهورة، واهتبال فرص الفقر والجوع والمجاعة من أهم السبل لصرف الجزائريين عن الإسلام إلى النصرانية.

هـ- الزيارات الميدانية:

وبالخصوص في المناطق النائية وفي الصحراء، قال الزاهري: (وانتشرت الأخوات المسيحيات يزرن النساء المسلمات العربيات في المنازل والبيوت، فيوزعن عليهن بعض الأدوية مجاناً)⁽¹⁾.

و- تركيز دعاة التبشير على الأطفال الصغار:

لقلّة عقولهم، وضعف حصانتهم وحاجتهم، قال الزاهري رحمه الله: (ويرجعن بالصغيرات المسلمات على مراكز التّنصير والتبشير المسيحي... ويحرص المبشرون المسيحيون كلّ الحرص على جلب من في الإصلاحية ولا سيما البنات بكل وسيلة.... وقد أقبل المسلمون على دور التّنصير هذه بناتهم وأبنائهم بصورة مروعة، ففي مركز واحد عدد يتراوح بين المائة والثلاثين وبين المائة والثمانين بنتا عربية مسلمة)⁽²⁾.

5.2- التنديد بالتبشير على صفحات مجلات الجمعية:

لقد حظيت الصحافة لدى جمعية العلماء بأهمية بالغة لما لها من الدور الفعال في مجال الإصلاح والدعوة ومحاربة التّنصير الفرنسي، فكانت الصحف والمجلات لسان الجمعية للأمة في جميع أقطار الوطن تعبر عن آمالها، وسلاحاً تحارب به العدو، وسرجاً منيراً تضيء به الطريق للأمة، وبإنشاء الصحف السيارة كانت هي التي تحفظ بها جيد الأقوال، وسديد النظريات، وتدخل بها على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره، وعلى الصانع في مصنعه، وعلى المملأ في ناديهم، وعلى المسافرين في مراكزهم، وما وجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها، وتبشر بها وتدافع عنها، ولما كان القانون يجيز حق إصدار الصحف، شرعت جمعية العلماء في تأسيس صحف خاصة بها لإيصال مبادئها وأهدافها إلى الوطن الجزائري والعربي والعالمي، ولبعث نهضة شاملة

⁽¹⁾الإصلاحية بين نارين، (ص:3).

⁽²⁾الإصلاحية بين نارين، (ص:3).

للأمة، من خلال ما تبثه من خطب ومحاضرات في شتى الميادين، فكانت مدرسة وطنية كبيرة، ومثقفًا عظيمًا للمجتمع، فضلا عن دورها الكفاحي في معركة التحرر الوطني.

قال الزاهري رحمه الله: (أيها المسلمون الجزائريون إنها لكبيرةٌ من الكبائر، وعظيمةٌ من العظائم أن يتنصَّر ألفٌ وسبعمائة مسلمٍ هم من صميم الإسلام في وطنٍ كالجزائر، كلُّ أهاليه مسلمون لا يوجد بينهم ولا واحدٌ غير مسلمٍ، ونحن بعد ذلك ندَّعي أننا من أشدِّ النَّاس تمسُّكا بالإسلام، يجب أن نعالج هذا الدَّاء بالوسائل العادلة المشروعة قبل أن يستفحل ويعظم أمره علينا، فلا نستطيع أن نداوِيه أو أن نتلافاه).

إنَّ هذا العدد من أطفالنا المتنصِّرين هو عدد كبيرٌ جدًّا، ولا يزال يتزايد كلَّ يومٍ، وإن استمر هكذا فإنَّنا نخشى على مصير الإسلام في هذه الديار. أيها المسلمون الجزائريون؛ كيف نرى أطفالنا وأفلاذ أكبادنا يفتنونهم عن دينهم، ويصدونهم عن سبيل الله ثم لا نتحرَّك إلى إنقاذهم، ولا تذهب أنفسنا عليهم حسرات!!

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان⁽¹⁾.

ومن أفضل المؤلفات التي ألِّفت في بيان الخطر التنصيري، وكشف عواره كتاب الشيخ الزاهري، والذي هو بعنوان: (الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير).

6.2- بيان خطر التمدرس بالمدارس الفرنسية، وتدریس أبناء المسلمين مجَّانًا:

من أبشع صور الإجرام الثقافي والفكري التي مارسها الاحتلال الفرنسي تجهيل الشعب الجزائري، إمَّا من خلال حرمانه من التعليم العربي، أو من خلال تعليمه في مدارسه التي أنشأها من أجل إنشاء جيلٍ متشبعٍ بالثقافة الفرنسية، جاهلٍ بمقوماته العربية الإسلامية، فيكون بذلك أداةً لتكريس الاستعمار الغاشم، فعمدت فرنسا إلى تأسيس هذه المدارس بهدف إدماج المجتمع الجزائري المسلم بالمجتمع الفرنسي، والقضاء على مقوماته، ومسح هويته عن طريق نشر لغته، ومحاربة اللغة العربية، وتزييف التاريخ الجزائري وقطع صلته بأي مظهر من مظاهر التاريخ الإسلامي.

⁽¹⁾ ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف ويعتقون النصرانية الكاثوليكية للزاهري، (ص:7).

ومن هنا نصب علماء الإصلاح العداء للمدرسة الفرنسية، وأعلنوا الحرب عليها، وفي ذلك يقول ابن باديس رحمه الله: (وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بحول الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلها بأيدينا، وإننا على يقين من أن العقوبة- وإن طال البلاء- لنا وأن النصر سيكون حليفنا) ⁽¹⁾.

ويقرر الشيخ الزاهري رحمه الله أن تعليم البنات في المدارس الفرنسية وبالأعلى على المجتمع الجزائري، بحيث البنات الجزائريات اللاتي يتعلمن في المدارس الفرنسية لا يتعلمن إلا التمرد والعصيان، ويرى خطر هذا التعليم من زاوية أخرى وهي زاوية التفردس، وتأثيره على البيت المسلم، وهذا التفردس يؤدي لا محالة إلى خطر الإدماج والقضاء على الهوية الوطنية وحتى المغاربية، وذلك بالقضاء على اللغة العربية من لسان الأم، أو المربية، لذلك يزداد الخطر أكثر إذا أرسلت البنات لمثل هاته المدارس ⁽²⁾.

ومن الجهود التي سلكتها الجمعية في مواجهة المدِّ التَّنصيري: تحصين الأولاد بالعلم النافع، وتحمل أعباء تعليمهم، قال الزاهري رحمه الله: (ولقد جربنا هذه الوسيلة في الإصلاحية فقبلنا عدداً من البنين والبنات مجاناً، ووزعنا عليهم وعلّمهم الأقلام والألواح السوداء، وأشياء أخرى تلزمهم وتلزمهم للقراءة مجاناً أيضاً، زيادةً عن كون الإصلاحية قد شملت برعايتها وإحسانها عدداً من اليتامى واليتيمات، تعلمهم وتزكّهم وتكسو بعضهم لوجه الله، فنجحت التجربة نجاحاً باهراً، وأقبل علينا النَّاسُ بأبنائهم وبناتهم إقبالاً منقطع النظير، حتى أولئك الذين هم أشدُّ النَّاسِ عداوةً لمشروعنا فقد جاءونا بأطفالهم) ⁽³⁾.

7.2- كشف الشبهات، ودحض الافتراءات:

ردُّ شبهات المنصّرين وسيلة أخرى قائمة على العلم ومجابهة الفكر بالفكر، وقد كان لعلماء الجمعية النصيب الأوفر في ردِّ شبهات المنصّرين.

⁽¹⁾ الآثار (120/1).

⁽²⁾ ينظر: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري لبلعجال (ص126-127).

⁽³⁾ الإصلاحية بين نارين (ص:3).

ومن جملة الافتراءات التي رُوِّج لها المستعمر، ودأب على زرعها في المجتمع: أنَّ أصل الجزائريين فرنسيون قبل أن يكون على ملة الإسلام، وخصُّوا بذلك منطقة القبائل، فقام المصلحون برد هذه الفرية، من ذلك ما ذكره الزاهري رحمه الله: (. ونحن نقول:

- إنَّ هذه الدعوى باطلةٌ يردُّها الواقع الذي أثبت أنَّ هؤلاء المسلمين قد قاتلوا مع فرنسا، وأظهروا لها الإخلاص في كلِّ المواقف، ولم يمنعمهم إسلامهم أن يخلصوا لها المودة، على حين إنَّ الألمان المسيحيين قد قاتلوا فرنسا، ولم تمنعمهم مسيحيتهم من أن يناصبوها العداوة والبغضاء. ومع ذلك فإن هؤلاء المسلمين ما زالوا يعيشون مع فرنسا في أحوال استثنائية تحكمهم بالقرارات والمناشير، وليس بالشرائع والقوانين...

إنَّه من الخير لفرنسا أن يبقى هذا الشَّعب عربيًّا مسلمًا يقاسمها السَّراء والضَّراء، وليس من الخير لها أن يراك الإسلام ويعتبر مسيحيًّا لا يرضيه منها شيء، على أن هذه الغاية المسيحية التي يسعى إليها المبشِّرون هي غايةٌ بعيدةٌ جدًّا لا يمكن أن تنالها أيديهم، فهذه الأُمَّة العربية المسلمة إن لم تستيقظ اليوم فلا بدَّ أن تستيقظ غدًا، ويومئذٍ تعرف ما هي الوسائل والتدابير التي تتخذها لدرء أخطار التَّبشِير والمبشِّرين الذين لا يعملون إلا للاستيلاء على الضعاف ولإغراء القاصرين)⁽¹⁾.

الحاصل أنَّ علماء الجمعية تصدَّوا لهذا المنكر العظيم، ولاقوا لأجله كلَّ بلاء ومشقَّة. قال الشيخ محمد السعيد الزاهري رحمه الله: (كل هذه الصعوبات كنَّا نحتملها، ونستعين عليها بالصبر الجميل، لو لم يقم في وجه الإصلاحية ما هو أدهى وأمر، أعني هذه المنافسة القاسية الشَّديدة التي تقوم بها مراكز التَّنصير وجمعيات التبشير المسيحي التي تبذل جهودًا عظيمةً، وتقوم بأعمالٍ كثيرةٍ بين الأوساط الإسلامية، فقد عرفتُ مكان الضَّعف من هؤلاء المسلمين)⁽²⁾.

⁽¹⁾ ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف ويعتقون النصرانية الكاثوليكية، (ص:7).

⁽²⁾ إصلاحية بين نارين، (ص:3).

المبحث الثاني: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مواجهة الإلحاد:

من أشنع أعمال فرنسا نشر الإلحاد بين الأهالي، فقد (دخل داء النزعات الإلحادية إلى الجزائر في ركاب الاستعمار، يتمشّي مع الحضارة الغربية، ويتفشّى في علومها وآدابها، وأمدّه الاستعمار بالقوة⁽¹⁾، ليغالب به العقائد الثابتة، وليُضِلَّ به المهتدين، أو يحول به بين الضّالّين وبين الهداية، وقد حالت جمعية العلماء بينه وبين الانتشار بما أفاضت على العقول، وأشاعت في النفوس من الهدى المحمدي، وحاصرته بحقائق الإسلام فحصرته في أضيق الأمكنة، وفي نفوس كأنها رموس)⁽²⁾.

ولم يقف رجال جمعية العلماء مكتوفي الأيدي إزاء موجة الإلحاد التي بدأت تنتشر بين طائفة من الشباب المثقف بالثقافة الأجنبية الفرنسية⁽³⁾ بل قاوموا وعملوا على حمايته من آثارها المدمرة، وذلك عن طريق الاتصال المباشر بالشباب، ومحاولة جذبهم إلى أحضان الحركة الإصلاحية⁽⁴⁾.

ومن خلاصة النتائج الإيجابية من أعمال جمعية العلماء وتوجيهاتها: قمع الإلحاد والتفسخ.⁽⁵⁾

وقد حلَّ الإلحاد بالقطر الجزائري عن طريق:

انتشار التعليم الفرنسي اللاديني أو عن طريق التقليد الأعلى.

⁽¹⁾ ومن هؤلاء: لوي بيرتران خصم الشرقيين الألد، وعدو المسلمين الأزرق، صاحب كتاب (إمام الإسلام)، تناول فيه المصريّين والشرقيّين والمسلمين عموماً، واتهمهم بالتأخر والتعصب، وقال: إنه لا قابلية لهم للتقدم، وردد العبارات المعروفة التي تدعي أنّ للغرب حق تمدين العالم. ينظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام لسيد الغفاني (2/ 463).

وكان لوي يروج فكرة الجزائر اللاتينية. ينظر: مقال: صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، للطبيب بودريالة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 2 و3، جامعة الوادي.

⁽²⁾ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (4/ 170).

⁽³⁾ وقد كان الإقدام على انتشار هذه الطبقة من الشباب من أوكّد الواجبات في مثل هذا الظرف الذي طغى فيه تيار المادة على كل شيء، سيما وقد أوشك الإلحاد والمروق من الدين أن يقرأ تلك الطبقة التي هي كل عدتنا من المجتمع الجزائري الإسلامي. ينظر: الثقافة الجديدة لا تنافي الإسلام الصحيح لابن باديس، الشهاب، المجلد 8، الجزء 2، شوال 1350 هـ/ فيفري 1933 (ص: 96).

⁽⁴⁾ ينظر: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية لتركّي رابح عمامرة (ص: 109)، والشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم لتركّي رابح عمامرة (ص: 372).

⁽⁵⁾ ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (4/ 178).

وزاد من حدّته غفلة الآباء والأولياء، على أن الإلحاد لم يتسرب إلى أبناء الجزائر إلا بنسبة ضئيلة بسبب: الميز التي يشهدها المتعلم، بالإضافة إلى تصلب عقلية الجزائري في دينه حتى وإن كان جاهلا به.

لقد كان لجمعية العلماء الآثار المحمودّة في مقاومة الإلحاد بما يثته رجالها من حقائق الدين، وبما يشرحونه في دروسهم ومحاضراتهم من مطابقتها للعقل واتفاقه مع قضايا العلم ومسايرته للحياة المدنية، وبما أرشدوا إليه الآباء من رعاية الأبناء والظهور أمامهم بمظهر القدوة الصالحة في الدين والخير والفضيلة⁽¹⁾.

1.3- تشخيص علماء الجمعية لأسباب ظهور الإلحاد في المجتمع الجزائري:

ومن أسباب شيوع بعض أفكار الإلحاد في الجزائر من منظور علماء الجمعية المباركة:

أ- النزعة الصليبية المتشددة عند المستعمر:

قال الشيخ الإبراهيمي رحمه الله: (تشكو المسيحية من طغيان الإلحاد وكثرة أسبابه، ولكنها تعمل على تمكين الإلحاد وتقوية أساسه، فهي تنصر الاستعمار، وهو أبو الإلحاد وأُمّه، وهو فاتح أبوابه، ورابط أسبابه، وهي تحارب الإسلام، وهو الحصن الذي يتحطم الإلحاد على صخوره، ولعمري ليس في التناقض أغرب من هذا)⁽²⁾.

فالشيخ يرى أنّ الكنيسة ساهمت بشكلٍ مباشر لتمكين الإلحاد ونشره بين أبناء الأمة المسلمة، مع كونها تفترض صراعاً فكرياً وعقدياً معه، وذلك من خلال تشجيع الاستعمار الذي هو أداة الإلحاد وحاضنته، كما أنّ عداها للدين الإسلامي سهّل اختراق الحصن، وقوّى أسباب الإلحاد.

⁽¹⁾ ينظر: سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (ص: 69-70).

⁽²⁾ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (3/ 128).

ب- التعليم اللاديني الأوروبي الذي كان يتلقاه بعض الجزائريين في المدارس الفرنسية⁽¹⁾، دون أن يتعلموا شيئاً من اللغة العربية والدين الإسلامي، وكذلك تقليد بعض الشباب الأعمى للملحدين. قال إبراهيمي رحمه الله: (وليعلموا أن خصوم الإسلام في ازديادٍ، وأن سير الإلحاد في أطّراد، وأن العلوم الغربية زاحمت العلوم الإسلامية على نفوس شبابنا فافتتنوا، وأن ضرائر العربية من اللغات الأوروبية يتبرجن تبرج الجاهلية الثانية، وقد زاحمها على ألسنة شبابنا فافتتنوا، وأن التعليم في كليّاتنا المشهورة بوضعه الحالي لا يكفل لنا سدّ أبواب هذه الفتن)⁽²⁾.

ت- غفلة الآباء والأولياء عن تربية النشء ورعايتهم الدينية: ذلك أن اهتمام المرّي بمن هم تحت ولايته، ومراقبته لتعليمهم، وتنشئتهم على قيم الدين وترسيخ مبادئه يشكّل الحصن الحصين الذي ترتطم عليه موجات الأفكار والمذاهب الهدامة بما فيها الإلحاد، فإذا تخلّى الولي عن هذه المسؤولية نشأ الشاب نشأة ضعيفة تقبل كلّ واردٍ، يقول الشيخ إبراهيمي معللاً الاستلاب الحاصل عند المتعلمين في مدارس الاستعمار الفرنسي: (وهذه عاقبة طبيعية للإهمال المتفسي في مثل الأوساط الجزائرية، فإن كثيراً من الآباء يطلقون لأبنائهم الحبل على الغارب ولا يحوّلونهم بالرعاية اللازمة لحماية دينهم وأخلاقهم وقوميتهم، بل يكلونهم إلى عاداتٍ فاسدة ومؤثرات ضعيفة لا تقوى على مقاومة ما يجدّ على مشاعرهم ويغزو عقولهم كلّ يوم من مؤثرات قوية جذابة مسلحة بالدليل)⁽³⁾.

ث- فشو الخرافات وضلالات الطرق المنحرفة: ذلك أن النشأ يحمل من الصغر فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين، وأن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدم بهم العلم والعقل لم يستسغها منهم علم ولا عقل، فأنكروها حقاً وعدلاً، وأنكروا معها الدين ظلماً وجهلاً، وهذه إحدى جنایات الطرقية على الدين.

⁽¹⁾ قال الفضيل الورتلاني رحمه الله في الجزائر الثائرة (ص: 137-138): (أما الثانية: فهي نشر الإلحاد في أوساط الشباب الإسلامي، بواسطة المدارس وغيرها، الأمر الذي كان سيؤدي إلى انتشار الشيوعية بشكل مريع، وقد أنفق الاستعمار في هذا السبيل جهداً ومالاً لا حدّ لهما، حتى بدا لهم في الصورة الظاهرة كأنهم نجحوا نجاحاً واسعاً).

⁽²⁾ آثار الإمام محمد البشير إبراهيمي (3/ 550).

⁽³⁾ المرجع السابق.

قال الإبراهيمي: (وتلك الخلال من إقرار البدع والضلالات هي التي مهّدت السبيل لدخول الإلحاد على النفوس، وهيأت النفوس لقبول الإلحاد، ومُحالٌّ أن ينفذ الإلحاد إلى النفوس المؤمنة، فإنَّ الإيمان حصنٌ حصينٌ للنفوس التي تحملها، ولكنَّ الضلالات والبدع ترمي الجدَّ بالهويناء، وترمي الحصانة بالوهن، وترمي الحقيقة بالوهم، فإذا هذه النفوس كالثُّغور المفتوحة لكلِّ مهاجم⁽¹⁾).

ج- ضعف الوازع الديني عند الشباب، قال الإبراهيمي رحمه الله: (وإنَّ تساهلكم في إقامة شعائر الدين، أو استخفافكم بأحكامه؛ مُعين على تفشي الإلحاد في الجيل الجديد الذي تقومون على تربيته، فاحذروا الظهور بمظهر المستخفِّ بالدين، ولو في فلتات اللسان، فإنَّ لكل فلتة، ولكل كلمة تصدر منكم أثراً في نفوس تلاميذكم؛ لأنَّكم محلُّ القدوة عندهم، ولأنَّ زمينهم يتبرع بالباقي، فإذا وجد العون منكم كان أجود بالشرِّ من الريح المرسلة)⁽²⁾.

وللوقوف في وجه هؤلاء الأعداء يقترح الزاهري -رحمه الله- تأسيس معهد إسلامي يزود الشباب الجزائري المسلم، وخاصة ذوي الثقافة الفرنسية بالمعلومات الكافية، ويعرفهم بتعاليم دينهم لكي يكونوا نصرة له بأقلامهم وألسنتهم.⁽³⁾

2.3- ردُّ شبه الملحدين حول الرسول ﷺ، ومدافعة أباطيلهم:

ومن مآثر الإنكار والاحتساب لعلماء الجمعية نقدهم لجمعيات الإلحاد، وكشفهم شبه الملحدين وافتراءاتهم على قيم الإسلام وشرائعه، فهذا الأستاذ الزاهري رحمه الله صوّب نقده لأحد مندوبي جمعيات الإلحاد ومناوأة الأديان، وقد دار نقاش حاد بينهما، ومن جملة ما حدث في تلك المواجهة أن قال الملحد: (وإنَّه ليسرُّنا أن نرى اليوم رجال الشرق الإسلامي يخرجون من الإسلام، ويرقون إلى مصاف الملاحدة، الذين هم الطبقة المستنيرة المفكرة في كل عصور التاريخ)⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق (4/ 202).

(2) آثار الإبراهيمي (3/ 271).

(3) ينظر: الإسلام في حاجة إلى دعاية للزاهري (ص: 118).

(4) المرجع السابق (ص: 110-111).

وقد عمد هذا الملحد في كلمته تلك إلى انتقاد الصلاة والصوم والحج، ورمي المسلمين بالجمود، والدعوة إلى التمتع بالحضارة الغربية اللامعة، وتكلم عن التجديد، وتمنى أن ينتصر السُّفور على الحجاب، ودعا إلى تحرير المرأة.

وكان الزاهري رحمه الله من بين الحضور، فأنبرى له، وردَّ عدوانه، ودحض شبهاته، ومن جملة الشُّبه الإلحادية التي دحضها الشيخ بالحجَّة والبيان:

- نسبة القرآن إلى الرسول ﷺ: حيث أرجع الزاهري هذه الفرية إلى الاستعمار الذي يزعم أنَّ القرآن من عمل الرسول ﷺ لا من عند الله، لكي يهون من قيمة هذا الكتاب العظيم، ويزعم أنَّ محمَّدًا كان يعرف القراءة والكتابة ويدرس الكتب القديمة، لكي يصحَّ أن يكون هو الذي عمل القرآن، وهي نفسها شبهةُ المشركين، ثم تلقَّفها عنهم هؤلاء الملاحدة، فصاروا يلوكونها ويذيعونها في أوساط الشباب المتفرجة.

ثم أفاض الزاهري في فضل القرآن ومعجزاته، ثم طلب من الحاضرين أن يقرؤوا القرآن بأنفسهم لكي يتيقنوا أنه من لدن حكيمٍ حميدٍ.

- أمية الرسول ﷺ: ورد في القرآن والسُّنة ما يدلُّ على أمية الرسول، وجاء وصفه بها في الكتب السماوية، وأقرَّ بها القساوسة والرهبان⁽¹⁾.

واستطاع الزاهري أن يفحم هذه الشبهة بجدالٍ علميٍّ رصينٍ يدل على ثقافته الواسعة⁽²⁾.

وقد تولى علماء الجمعية إنكار نظريات الإلحاد وبيان وهائها وفسادها ومناقضتها للعقل والشريعة.

4.3- نقد النظريات الإلحادية، والتَّصديِّ للمذاهب والمناهج الفكرية التَّغريبية:

بذلت الجمعية وعلمائها المصلحون جهودًا مباركةً في نقد النظريات التي أسَّست للإلحاد، والمذاهب الفكرية التي كانت حاضرةً لهذا التيار الفاسد، ومن جملة ذلك:

⁽¹⁾ الإسلام في حاجة إلى دعاية للزاهري (ص:40).

⁽²⁾ الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري بلعجال (ص:83-84).

أ- نقد النظرية الماركسية:

انتقد علماء الجمعية النظرية الاشتراكية التي تدعو إلى الإلحاد بأبشع صوره، قال الشيخ عبد اللطيف سلطاني رحمه الله: (فهذه الماركسية الشيوعية - مثلا - تحارب الدين وتمنع أتباعها من الإيمان بالله الخالق لكل شيء وهذا مخالف لفطرة البشر....ومثل ذلك في عصرنا الحاضر هذه النحلة الماركسية اليهودية الاشتراكية والشيوعية الملحدة التي أخذت مبادئها الهدامة للعقيدة الإسلامية والأخلاق الكريمة الفاضلة تظهر وتنتشر في الأوطان الإسلامية في وقتنا هذا، مستعملة كل وسائل الخداع والتَّمويه والتضليل في أوساط المسلمين الضعفاء في دينهم وأخلاقهم وعقيدتهم، وقد ألبسوها لباس التقدم والتقدمية)⁽¹⁾

وانتقد الشيخ عبد اللطيف رحمه الله دعاة الماركسية ك جاكو فينسكي وماركس اليهودي، ودعا إلى إنكار هذه النظرية وشنع على الساكتين فقال: (إنَّ السكوت عن انتشار هذه الأوهام - التي يسمونها أفكارا - يُعدُّ رضی بها، وهي تنتشر بمساعدة دولة الملاحدة، بل السكوت عنها يُعدُّ جريمةً من أكبر الجرائم في هذا الوقت، يتحمل وزرها العلماء الأمناء على الدِّين والعقيدة)⁽²⁾.

ومن مواقف الشيخ فضيل الورتلاني رحمه الله كما قال الشيخ محمد صالح الصديق: (طهر عقولهم مما نقلوه من زائف المدينة، وجرائم الإلحاد، وسخافات اجتماعية بالية قدرة!!)⁽³⁾.

ب- نقد نظرية داروين مؤلف كتاب (أصل الأنواع):

إنَّ نظرية داروين⁽⁴⁾ كانت أساسا للإلحاد في الدِّين، فإن كان داروين لا ينكر بنظرية هذه قضية الخلق الإلهي، إلا أن نظريته كانت أساسا لمن جاء بعده من الفلاسفة فجعلوا هذه النظرية حجَّة لهم في إلحادهم، وقولهم بالتَّولُّد الدَّاتي، وهذا هو أساس الإلحاد، وليس مجرد قول داروين بالتَّطور، وليس هو القول بخلق الحياة من الجماد، فإنَّ الله يخرج الحي من الميت، ولكنه القول بالتَّولد الذاتي.

(1) سهام الإسلام لعبد اللطيف سلطاني (ص: 75).

(2) سهام الإسلام لعبد اللطيف سلطاني (ص: 152).

(3) مقدمة الجزائر الثائرة (ص: 24).

(4) ينظر: المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة للدكتور عيسى السعدي (ص: 18).

قال العلامة المكي بن عزوز الجزائري رحمه الله: (اعتقاد بذلك -أي مذهب داروين- مجاهرة بتكذيب كلام الله ورسله كلهم، فأدم خلقه الله من طين ثم نفخ فيه الروح، وخلق حواء من جسد آدم ومنها تناسل البشر)⁽¹⁾.

علماء الجمعية كانوا على دراية بنظرية التطور، وخطرهما على الإسلام والمسلمين، وللشيخ ابن باديس رحمه الله سابقة في التحذير من مذهب داروين، فقد نقل في مجلته (الشهاب) مقالاً بعنوان: نقض أساس مذهب داروين عن مجلة المنار: (الكلام في فساد مذهب داروين يوجّه إلى أساسه لا على فروعه وجزئياته كطبقات الأرض وتشابه الأنواع وتعليل الأعضاء الثرية، وأساسه الفاسد هو أن ما عُلم من السُنن في نظام الكون هو دليل على أن ما لم يعلم منها مثله في كونه لا بدّ أن يكون حصوله بالتطور التجريبي)⁽²⁾.

ثم ذيل إبطاله لمذهب داروين بتحقيق لليون دوديه Leon Daudet في مقال له: احتضار مذهب علمي في صحيفته، وحكم على مذهب داروين بالسخافة⁽³⁾.

وفي موطن آخر من الشهاب نقل الشيخ ابن باديس رحمه الله مقالاً آخر لوليم كاتسفليس الرئيس السابق للمتحف الأمريكي وبين خطأ داروين في أمرين: أولهما تاريخ ظهور الرجل على الأرض، وثانيهما مزجه تطور الإنسان بتطور القرد⁽⁴⁾.

ت- اللائكية:

اللائكية كانت عارا في الأربعينات، وصارت ملعونة في لسان الشعب، وقررت الجمعية أن الإسلام دين ودولة.

وانتقاد الشيخ ابن باديس لسياسة مصطفى كمال أتاتورك اللائكية مشهورة، وله مقال مشهور بعنوان (جنايات الكمالين على الإسلام والمسلمين ومروقههم في الدين)، وجاء في تصدير مقاله: (ما كنّا قطّ نجعل عقيدة الشبيبة التركية المتفرنجة ولا مبادئها اللادينية...من خطب كمال...وقد فتحوا عهد دستورهم بمحو كلمة الشهادة من رايات

(1) عقيدة التوحيد الكبرى (ص: 90).

(2) نقض أساس مذهب داروين عن مجلة المنار لابن باديس، مجلة الشهاب، مج 7، ج 1، رمضان 1349 هـ / فيفري 1931 م (ص: 36).

(3) نقض أساس مذهب داروين عن مجلة المنار لابن باديس، مجلة الشهاب، مج 7، ج 1، رمضان 1349 هـ / فيفري 1931 م (ص: 37).

(4) المرجع السابق (ص: 98).

الجيش، وختموها في هاته الأيام بنبد النظام العائلي الإسلامي في مسائل الزواج، والطلاق، وإباحتهم التبرج للنساء، واختلاطهن بالرجال في المراسم والمراقص⁽¹⁾.

ويقرر الشيخ الإبراهيمي أنَّ التعليم اللاتيني لشباب الجزائر كان من أقوى الأسباب التي أدت إلى تمكين هذه النزعة الإلحادية، وأنَّ "الناشئ الذي يتلقى التَّعليم في هذه المدارس اللايكية يحسُّ من أول أيامه في التعليم بمنافرة ما يتعلمه في المدارس من حقائق الكون مثلاً لما تعود سماعه من أهليه، ثم يزداد ما يسمعه في المدارس رسوخاً في نفسه بما يقام عليه من الدلائل فيزداد على قدر ذلك نفوراً من كل ما يسمعه من أهليه، ثم ينقلب ذلك النفور منهم ومما يسمعه منهم احتقاراً لهم وله، ولكل ما يلابسهم من عوائد وأزياء حتى ينتهي به الأمر إلى الدين إذ يجد أبويه وأقاربه لا يعرفون منه إلا قشوراً ممزوجة بالخرافات، ثم هم لم ينشئوه على احترام الدين ولم يشربوه حبه من الصغر ولم يروضوه على إقامة شعائره، فإذا تمادت به مراحل التعليم وهو على هذه الحالة، شب على الوحشة من قومه ولغته ودينه وملك الإلحاد عليه أمره إلا من رحم ربك"⁽²⁾.

وللشيخ الإبراهيمي -رحمه الله- مقالاتٌ عدَّة طويلة تناولت قضية فصل الدين عن الحكومة الفرنسية⁽³⁾، والتي فرح بها بعض أفراخ اللاتكية، وعمدوا إلى سوء الظنِّ يخدعون الشعب ويوهمونه بأنهم إنما يدعون إلى ما دعا إليه الإمام الإبراهيمي من فصل الدين عن الدولة. وكذبوا، وصدق الإمام الإبراهيمي.

لقد أقام الشيخ الحجَّة والبرهان في مقالاته تلك على أنه لا حق لفرنسا في الإشراف على الدين الإسلامي؛ لأنها ليست دولة إسلامية، ولأنَّ دستورها يُحرِّم عليها الإشراف حتى على دينها. فأَي منطق يخوِّل لها الإشراف على الدين الإسلامي؛ ويصل الإمام إلى لبِّ القضية؛ وهو أن إشراف فرنسا على الدين الإسلامي إنما هو بقصد محوِّه، ويستوي في هذا القصد جميع الفرنسيين، وفي تناوله لهذه القضية المحورية، راغ الإمام الإبراهيمي على مخططيها

⁽¹⁾ آثار الإمام عبد الحميد بن باديس (21-20/6).

⁽²⁾ آثار الإمام البشري الإبراهيمي (194/1).

⁽³⁾ وقد أخذت صفحات في آثاره بعنوان: فصل الدين عن الحكومة (3/100 إلى 184).

ومنفذها ضرراً باليمين، وسقاهم حميماً وغساقاً، وعلى رأس مخططيها المستشرق الفرنسي "لويس ماسينيون"، مهندس السياسة الفرنسية في الشؤون الإسلامية.⁽¹⁾

ثم يقول في ختم نظريته الإصلاحية لهذه القضية: "كلّ فصل على دغل فنحن ننكره ونحاربه، وسنتمادي على مقاومتنا له، وسنبقى - كما كنا - عاملين على تحرير ديننا، ننتقل مع خصومنا من ميدانٍ إلى ميدانٍ، حتى نلقى الله أو يحكم بيننا وبينهم بالحقّ، وهو خير الحاكمين".⁽²⁾

5.3- التّصديّ للاندماجين والنخبة المتفرجة:

إنّ مسألة التجنيس والإدماج من المسائل الكبيرة والمشاكل الخطيرة، التي أولتها جمعية العلماء المسلمين بالغ الاهتمام والرعاية، وانبرى أعلامها للكتابة في الصحف والمجلات، وخطبائها في المساجد والنوادي لبيان خطرها على الأمة الجزائرية، خاصة مع جنوح بعض الكتّاب والسياسيين إلى التّساهل وتسويق المسألة، فكان لزاماً أن لا يقفوا وقفة المتفرج، فيتخذ سكوتهم إقراراً، وكان لهم الأثر البالغ في محاربة هذه الآفة.

قال الشيخ الإبراهيمي -رحمه الله-: (حاربتُ -أي الجمعية- سياسة الاندماج في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس، ونازلت أنصاره الخُمس ودعائه المقاول، حتى قهرتهم وأخرستهم، وقطعت الحبلَ في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة فيه، يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل باباً من العذاب، فكان ذلك منها تحدياً للاستعمار، وإبطالاً لكيد، وتعطيلاً لسحره، وأثبتت بتلك المواقف للجزائر إسلاميتها).⁽³⁾

وكتب الشيخ العربي التبسي -رحمه الله- منديداً بسياسة الاندماج التي حاول بعض المهزومين الترويج لها: "إنّ فرنسا تعمل جهدها لإبادتنا وإدماجنا ومحونا من الحياة كشعبٍ ذي خاصيات، وأمة ذات ميزة، وإنه لمن العجيب حقاً أن تريد فرنسا بتجنيسها، محو إنسانٍ كاملٍ في وقت تمنع فيه القوانين الدولية إبادة أنواع الحيوانات والطيور".⁽⁴⁾

(1) المرجع السابق (26/3).

(2) المرجع السابق (184/3).

(3) الآثار (69/3).

(4) مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر للشيخ العربي التبسي، (57/1).

ولقد هال جمعية العلماء سريان فكرة الإدماج التي اقتنعت بها بعض الزعمات السياسية الجزائرية مثل ابن جلول، وفرحات عباس، ولحمق حسني، وبيلاح، وسعدي اواكلي، والزناتي وغيرهم، ورَّوجوا لها في أوساط الشعب الجزائري، فوقفت في وجه هذه الأفكار.⁽¹⁾

وفي هذا الصدد، جاء ردُّ الشيخ ابن باديس واضحًا وصريحًا تجاه هذه الدعوات والأفكار، وفنَّد شبه الداعين إلى التفرنج والاندماج، ونعتهم بأنهم في وادٍ والأمة في وادٍ، وقال لهم: (ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج. ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة)⁽²⁾.

الحاصل أنَّ الجمعية كانت حاجزًا منيعًا ضدَّ دعاة الإلحاد، وصدق الإبراهيمي رحمه الله إذ قال: (وويل لهذا الشعب المضلل الذي أفلس في الرجال أكثر من إفلاسه في المال، وربَّاه الإلحاد وفساد الأخلاق ونقصان العقل إن تمادى في اتباع خطوات هذا الرئيس المغرور)⁽³⁾⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، (1/140).

⁽²⁾ الآثار (309/3).

⁽³⁾ يقصد الاستدمار الفرنسي. ينظر: مقالة الإبراهيمي بعنوان: (الجزائر) التي ألقاها في مركز الشبان المسلمين بالقاهرة، سنة 1957 م، ونشرت في مجلة لواء الإسلام، العدد 12، يناير 1961 م.

⁽⁴⁾ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (5/187).

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، يمكن استخلاص جملةٍ من النتائج أبرزها:

1- إنّ الحقيقة التاريخية التي لا يمكن إنكارها بحالٍ أنّ فرنسا الاستعمارية لم تأت قطُ لإعمار الديار، ونقل الحضارة كما زعمت، إنّما جاءت بمشروعٍ فكريّ عقدي، مبنيّ على تفرّغ المجتمع الجزائري، والفرد المسلم من هويته الإسلامية والوطنية، وإحلال الفكر التنصيري، والإلحادي محلّه، تسهياً لمهمّته الاستيطانية، وضماناً لخلو الطريق من أي معوّقٍ يحول دون تحقيق مآربه.

2- سلك المحتلّ الفرنسي لتحقيق أهدافه جملةً من المخططات والمشاريع، من أظهرها وأشدّها خطراً تنصير المجتمع الجزائري، وسلخ هويته بمحو شخصيته العربية، ونشر مظاهر الإلحاد والتغريب، وهي أسلحة لا تقلّ ضرراً وفساداً من المدفع والبنديقية.

3- الدور الفعال، والأثر الإيجابي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من خلال جهودهم المباركة في التصدي لهذه الانحرافات الفكرية، ومواجهة مكائد المستدمر الصليبي، ومواجهة المذاهب والمناهج الإلحادية، ولا شكّ أنّ أعظم تلك الجهود ما كان له الأثر على الشعب الجزائري من خلال المحافظة على مقوماته الدينية، وهويته الوطنية.

ومن التوصيات التي يُرجى أخذها بعين الاعتبار: حثُّ الباحثين في مجال الدعوة، والثقافة الإسلامية للاشتغال بالتراث الفكري الإصلاحي لعلماء الجزائر ومفكرّيها، وإبراز جهودهم في مواجهة الغزو الفكري بكلّ صوره، والإفادة من منهجهم وسبيلهم، وإبراز القيمة العلمية والإصلاحية لرواد النهضة خلال مختلف المراحل التاريخية، هذه الجهود التي لا زالت مجهولةً لدى كثير من الجيل الجديد، وإلقاء الضوء عليها يصل الحاضر بالماضي، ويربط الناشئة بأسلافهم، فتحافظ هذه الأمة على هويتها العربية والإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

- ابن باديس عبد الحميد، الآثار، المحقق: عمار طالبي، ط1، الجزائر، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1388هـ-1968م.
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، البليدة، دار الكتاب، 1963م.
- بن نعمان أحمد، التعريب بين المبدأ والتطبيق، د.ط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- تركي رايح عمامرة، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، (1931-1956م)، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م.
- تركي رايح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1390هـ، 1969م.
- تركي رايح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956 ورؤساؤها الثلاثة، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2004م.
- تشايحي عبد الرحمن، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، د.ط، ليبيا، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1980م.
- حسين عقيلة، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف وإحياء السُّنة، ط1، الجزائر، دار الوعي للنشر والتوزيع، سنة 2012م.
- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط1، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر، د.ت.
- الزاهري محمد السعيد، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، د.ط، الجزائر، دار الكتب، الجزائر، د.ت.
- سيد العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، 1424 هـ - 2004 م.
- عبد اللطيف سلطاني، سهام الإسلام، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (مطبعة أحمد زبانه)، 1400 هـ - 1980 م.
- عيساوي أحمد، جهود الشيخ العربي التبسي وآثاره الإصلاحية، ط1، الجزائر، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، سنة 2013م.
- عيسى عبد الله السعدي، المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، ط1، المملكة العربية السعودية، دار الأوراق الثقافية، 1435هـ-2014م.
- الفضيل الورتلاني الجزائري، الجزائر الثائرة، ط4، الجزائر، دار الهدى، سنة 2009 م.
- مبارك الميلي، آثار الشيخ مبارك الميلي، جمع وتحقيق: أبو محمود الجزائري، ط1، الجزائر، دار الرشيد، 1433هـ-2012م.
- محمد البشير الإبراهيمي، سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ط1، الجزائر، دار المعرفة، 2008م.
- محمد المكي بن عزوز، عقيدة التوحيد الكبرى، تحقيق: محمد رشيد بو غزالة. ط1. بيروت: مؤسسة الريان، 1429هـ-2008م.

محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، أثارُ الإمام مُحمّد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، تونس، دار الغرب الإسلامي، سنة 1997م.
محمد زمران، معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ط1، الجزائر، منشورات جامعة باتنة، 1998م.
ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية: نشأتها، تطورها، أعلامها (من 1903م إلى 1931م)، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1398هـ-1978م.

الأطروحات العلمية:

بلعجال أحمد، (2005-2006م)، الخطاب الإصلاحية عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر.
دومة أحمد، (1434هـ-2013م)، التنصير في الجزائر وتاريخه وأساليبه وسبل مواجهته، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
مرجاني عبد القادر، (2019-2020م)، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي الياباس - سيدي بلعباس، الجزائر.

المقالات:

ابن باديس، الثقافة الجديدة لا تنافي الإسلام الصحيح، مجلة الشهاب، المجلد 8، الجزء 2، شوال 1350هـ/ فيفري 1933م.
ابن باديس، نقض أساس مذهب داروين عن مجلة المنار، مجلة الشهاب، مج. 7، ج. 1، رمضان 1349هـ/ فيفري 1931م.
أبو يعلى الزواوي، مضار التبشير البروتستانتي في وطننا هذا، مجلة البلاغ، ع. 75، السنة الثانية، الجمعة 10 محرم 1347هـ/ 29 جوان 1928م.
الزاهري محمد السعيد، أخطار التبشير، جريدة الشريعة النبوية المحمدية، ع. 3، يوم الإثنين 8 ربيع الثاني 1352هـ/ 31 جويلية 1933م.
الزاهري محمد السعيد، الإصلاحية بين نارين، جريدة البصائر، ع. 6، يوم الجمعة 13 ذي القعدة 1354هـ/ 7 فيفري 1936م.
الزاهري محمد السعيد، ألف وسبع مائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف ويعتقون النصرانية الكاثوليكية، جريدة الشريعة النبوية المحمدية، السنة الأولى، ع. 2، يوم الإثنين 01 ربيع الثاني 1352هـ.
الزاهري محمد السعيد، إلى زيارة سيدي عابدا، مجلة الصراط، ع. 6، يوم الإثنين 4 رجب 1352هـ الموافق لـ 23 أكتوبر 1933م.
الطيب بودريالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع. 2 و3، سنة 2010م.
العربي التبسي، ألا أيها النوم ويحكم هبوا، مجلة النجاح، ع. 28، 18 ماي 1926م.
محمد البشير الإبراهيمي، الجزائر، مجلة لواء الإسلام، ع. 12، يناير 1961م.